

التمهيد في علم التجويد

اختلف الناس في الحرف والحركة أيهما قبل الآخر أو لم يسبق أحدهما الآخر ؟ .
فقال جماعة الحروف قبل الحركات واستدلوا على ذلك بعلل : منها أن الحرف يسكن ويخلو من الحركة ثم يتحرك بعد ذلك فالحركة ثانية والأول قبل الثاني بلا خلاف ومنها أن الحرف يقوم بنفسه ولا يضطر إلى حركة والحركة لا تقوم بنفسها ولا بد أن تكون على حرف فالحركة مضطرة إلى الحرف والحرف غير مضطر إلى الحركة فالحرف أول ومنها أن من الحروف ما لا تدخله حركة وهو الألف وليس ثم حركة تنفرد بغير حرف فدل ذلك عندهم أن الحروف مقدمة على الحركات .
وقال قوم الحروف بعد الحركات والحركات قبل الحروف واستدلوا على ذلك بأن الحركات إذا اشبعت تولدت الحروف منها نحو الضمة يتولد منها الواو والكسرة يتولد منها الياء والفتحة يتولد منها الألف فدل ذلك على أن الحركات أصل الحروف .
وقال جماعة الحركات والحروف لم يسبق أحدهما الآخر في الاستعمال بل استعملوا معا كالجسم والعرض اللذين لم يسبق أحدهما الآخر .
وقد طعن في هذا القول فقل إن السكون في الجسم عرض وليس السكون في الحرف حركة فزوال الحركة من الحرف لا يؤديه إلى حركة زوال العرض من الجسم يؤديه إلى عرض آخر يخلفه لأن حركة الجسم وسكونه كل واحد منهما عرض يتعاقبان عليه وليس سكون الحرف حركة ألينة وبذلك علمنا أن الأجسام كلها محدثة إذ لا يفارقها المحدث وهو العرض وما لم يسبق المحدث فهو محدث مثله والحرف يخلو من الحركة ويقوم بنفسه ولا يقال لسكونه حركة وأجيب عن هذا بجوابين : .
أحدهما : بأن هذا الاعتراض إنما يلزم منه أن لا يشبه الحرف [بالجسم والحركة بالعرض وليس ينفي قول من قال إن الحرف] والحركة لم يسبق أحدهما الآخر في الإستعمال والدليل على صحة هذا القول أن الكلام الذي جيء به للإفهام مبني من الحروف والحروف إن لم تكن في أول أمرها متحركة فهي ساكنة والساكن لا يمكن أن يبتدأ به ولا يمكن أن يتصل به ساكن آخر في سرد الكلام لا فاصل بينهما فلا بد من كون حركة مع الحرف لا يتقدم أحدهما على الآخر إذ لا يمكن وجود حركة على غير حرف .
الثاني : أن الكلام إنما جيء به لتفهم المعاني التي في نفس المتكلم وبالحركات واختلافها تفهم المعاني فهي منوطة بالكلام مرتبطة إذ بها يفرق بين المعاني التي من أجلها جيء بالكلام وهذا الجواب أولى من غيره